تفسير ابن كثير

يقول تعالى : { لا خير في كثير من نجواهم } يعني كلام الناس { إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس } أي إلا نجوى من قال ذلك كما جاء في الحديث الذي رواه ابن مردويه : حدثنا محمد بن عبد ا بن إبراهيم حدثنا محمد بن سليمان بن الحارث حدثنا محمد بن يزيد بن حنيس قال : دخلنا على سفيان الثوري نعوده فدخل علينا سعيد بن حسان المخزومي فقال له سفيان الثوري : الحديث الذي كنت حدثتنيه عن أم صالح ردده علي فقال : حدثتني أم صالح عن صفية بنت شيبة عن أم حبيبة قالت : قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : [كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا ذكر ا D أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر] فقال سفيان : أو ما سمعت ا في كتابه يقول : { لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس } ؟ فهو هذا بعينه أو ما سمعت ا يقول : { يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا } فهو هذا بعينه أو ما سمعت ا يقول في كتابه : { والعصر * إن الإنسان لفي خسر } الخ ؟ فهو هذا بعينه وقد روى هذا الحديث الترمذي وابن ماجه من حديث محمد بن يزيد بن خنيس عن سعيد بن حسان به ولم يذكر أقوال الثوري إلى آخرها ثم قال الترمذي : حديث غريب لا يعرف إلا من حديث ابن خنيس .

وقال الإمام أحمد : حدثنا يعقوب حدثنا أبي حدثنا صالح بن كيسان حدثنا محمد بن مسلم بن عبيد ا بن شهاب أن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أخبره أن أمه أم كلثوم بنت عقبة أخبرته أنها سمعت رسول ا صلى ا عليه وسلّم : يقول [ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرا أو يقول خيرا] وقالت لم أسمعه يرخص في شيء مما يقوله الناس إلا في ثلاث : في الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها قال : وكانت أم كلثوم بنت عقبة من المهاجرات اللاتي بايعن رسول ا صلى ا عليه وسلّم وقد رواه الجماعة سوى ابن ماجه من طرق عن الزهري به نحوه قال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن سالم بن أبي الجعد عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال : قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : [ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؟] قالوا : بلى يا رسول ا قال : [إصلاح ذات البين] قال : [وفساد ذات البين هي الحالقة] ورواه أبو داود والترمذي من حديث أبي معاوية وقال الترمذي : حسن صحيح وقال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا سريج بن يونس حدثنا عبد الرحمن بن عبد ا بن عمر حدثنا أبي عن حميد عن أنس أن النبي صلى ا عليه وسلّم قال لأبي أيوب [ألا أدلك على تجارة ؟] قال : بلى يا رسول ا قال [تسعى في إصلاح بين الناس إذا تفاسدوا وتقارب بينهم إذا

تباعدوا] ثم قال البزار وعبد الرحمن بن عبد ا العمري : لين وقد حدث بأحاديث لم يتابع عليها ولهذا قال : { ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة ا } أي مخلصا في ذلك محتسبا ثواب ذلك عند ا D { فسوف نؤتيه أجرا عظيما } أي ثوابا جزيلا كثيرا واسعا .

وقوله : { ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى } أي ومن سلك غير طريق الشريعة التي جاء بها الرسول صلى ا عليه وسلّم فصار في شق والشرع في شق وذلك عن عمد منه بعد ما ظهر له الحق وتبين له واتضح له .

وقوله : { ويتبع غير سبيل المؤمنين } هذا ملازم للصفة الأولى ولكن قد تكون المخالفة لنص الشارع وقد تكون لما اجتمعت عليه الأمة المحمدية فيما علم اتفاقهم عليه تحقيقا فإنه قد ضمنت لهم العصمة في اجتماعهم من الخطأ تشريفا لهم وتعظيما لنبيهم وقد وردت أحاديث صحيحة كثيرة في ذلك قد ذكرنا منها طرفا صالحا في كتاب أحاديث الأصول ومن العلماء من ادعى تواتر معناها والذي عول عليه الشافعي C في الاحتجاج على كون الإجماع حجة تحرم مخالفته هذه الاية الكريمة بعد التروي والفكر الطويل وهو من أحسن الاستنباطات وأقواها وإن كان بعضهم قد استشكل ذلك فاستبعد الدلالة منها على ذلك ولهذا توعد تعالى على ذلك بقوله : { نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا } أي إذا سلك هذه الطريق جازيناه على ذلك بأن نحسنها في صدره ونزينها له استدراجا له كما قال تعالى : { فذرني ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون } وقال تعالى : { فلما زاغوا أزاغ ا قلوبهم } وقوله : { ونذرهم في طغيانهم يعمهون } وجعل النار مصيره في الاخرة لأن من خرج عن الهدى لم يكن له طريق إلا إلى النار يوم القيامة كما قال تعالى : { احشروا الذين ظلموا وأزواجهم } الاية وقال تعالى : { ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا }